مجلة العلوم الإنسانية
عدد 48 ديسمبر2017، المجلد أ، ص. ص 361-371

من أسرار دقة اللفظ وجمالياته في النسق القرآني
دراسة في بلاغة الكلمة ودلالاتها في ضوء بعض النماذج القرآنية

د. الصديق حاجي
كلية الآداب و اللغات
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص:
يسعى هذا البحث إلى إبراز جمال الدقة في اختيار اللفظ، وروعة انتقاء الكلمات، وتفرّد استخدامها في النظم القرآني الكريم، للوقوف على عمق مقاصدها وآثارها، ولطائف عجائبها وأسرارها، وما تختزنه من طاقة بيانية وتعبيرية، لها دلالتها وفصاحتها الخاصة، في ذلك الأسلوب الإلهي البديع.فكانت بذلك وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وسرا من أَسْرَار عجائبه الدقيقة الَّتِي لا تنتهي.
واعتبارا لهذه الأهمية، جاءت هذه الدراسة، لتركز الحديث على هذا الجانب الهام، المرتبط بالكلمة القرآنية المعجزة، التي شاء الله تعالى أن تحمل الرسالةَ الخاتِمةَ إلى البشر أجمعين.
وقد تساوَقَ المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي في نمنمة فُسَيْفِسَاء هذا البحث، بغية الوقوف على جانب من جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم،وما تضمّنه من أسرار الإبداع في مفرداته المختارة، وتراكيبه المُحكمة، ومعانيه الجليلة، وما يمكن أن يُستخلص منها من الحِكَم والدلالات والمقاصد السامية. وهو ما حاولنا الحرص على الوفاء به في هذه الدراسة، وما تطلّبتْه من تطواف حافل بين ثنايا الكتب والتفاسير، بحثا عن اللمحات الدالة، وبدائع النكت والآراء التي جادت بها قرائحُ كبار العلماء، وأهل النظر في البلاغة والتفسير. وبِحَسْبِنا لمحاتٌ دالّة، وشواهد وأمثلة تطبيقية، نسوقها على سبيل المثال لا الحصر، نرجو أن يَكونَ في قليلِها كفايةٌ وبلاغ.

Abstract:
This study aims to show the beautiful precision in the choice of words and their unique usage in the Quran to analyse its deep motives and effects, mysteries and inherent power of expression which exhibits a special eloquence and significance which characterize such divine style whose inimitability in this respect is unanimously asserted by all scholars to be a miracle and a wonder.
Bearing in mind the importance and the originality of such a topic, the present paper aims to focus on this important aspect related to the miraculous word of Quran which was made by Allah to convey his last message to all human kind. The methodology adopted in this research overlaps between the analytical and the descriptive approach to highlight an aspect of the linguistic inimitability of the Quran and to show the mysteries of its creativity in choosing appropriate words and precise structures, and the great meanings this yield. For this, a search in books of Quranic commentaries which gives true and original views about the meanings inherent in the Quran, is deemed a prerequisite. The few practical examples and extracts given here are hoped to be enough to give a clear illustration of the ideas advanced.

مقدّمة:

لقد كان القرآنُ الكريم موضعَ العناية الكبرى، منذ نزوله على الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم -إلى يومنا هذا،وسيظلّ النبعَ الفياض، والمنهلَ العذب الذي لا ينضب، لكل دارس للغة العربية، حفظًا وتلاوةً، تأمّلا و تدبّرا، شرحا وتفسيرا.
وقد اتّخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، ونواحيَ كثيرة اتّجه إليها العلماءُ والمفسرون، فأماطوا اللثام عن كثيرٍ من أسرارها، ووضعوا أيديهم على جانب عظيم من حقائقها ولطائفها.
وليس بخافٍ على كل مشتغل بالقرآن الكريم وعلومِه، أنّ اللفظة القرآنية هي أفصح الألفاظ، في أحسن نظم من التأليف، وأنّ لها بلاغة خاصة بأدائها، وبأصواتها الموسيقية، وأنّ تخيرها يدل على قدرة قائلها، وعلوّ بيانه، الذي هو فوق قدرة البشر.

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر2017

فحيثما« قلّب الإنسانُ بصرَه في القرآن، وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي: .. في نظامه الصوتي البديع؛...وفي ألفاظه التي تفي بحقّ كلٍّ في موضعه،..وفي ضروب الخطاب،..وفي إقناع العقل وإمتاع العاطفة،... فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير»[1].

ولما كان ذلك أساسه الكلمة الجميلة المعبّرة؛ والألفاظ الموحية المؤثّرة،ركّزنا الحديث على هذا الجانب الهام،لنقف على دقة اختيار مفرداتِ هذا الخطاب الرباني الفريد، وما تختزنه من سمات التفرّد والإبداع؛ وما أَوْدَعَ الله تعالى فيها من أسرار ولطائف ودلالات، انتظمت في أرْوَع مثال، وأبرع نمَطٍ تمثَّلتْ فيه أرقى خصائصِ البيان العربي؛ففي تآلف حروفها وترتيبها، وطريقة نظمها، وصفاتها ومخارجها، أسرار ولطائف، أودعها الله فيها، ما لا يستطيع بشرٌ إدراكَ كُنْهِهَا واستقصاءَها، فهي تحمل سراً قرآنياً عظيماً، وميزة أسلوبية خاصة تجذب إليها النفوس، وكأنّ«هنالك عنصراً ما، ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن»[2].

وتلك خصيصة أَلْمح إليها أحدُ الدّارسين المعاصرين، حين ذكر أنّ القرآن الكريم: «يمتاز على سائر الكلام بدقته الفائقة في تعابيره، واضعاً كلَّ شيء موضعه اللائق به، مراعياً كلَّ مناسبة ـ لفظية كانت أو معنوية ـ في أناقةٍ تامّة؛ لم تفته نكتةٌ إلاّ سجّلها، ولم تفلت منه مزيّةٌ إلاّ قيّدها، في رصفٍ بديع، ونضدٍ جميل، جامعاً بين عذوبة اللفظ، وفخامة المعنى، ملائماً أجراسَ كلماته مع نوعية المراد،... بحيث لو انتُزِعَت لفظةٌ من موضعها، أو غُيِّرَت إلى غيرِ محلّها، أو أُبْدِلَت بغيرها، لأخَلّ بمقصود الكلام، واضطرب النظم واختلَّ المرام »[3].

وعلى هذا جاءتألفاظَ القرآنِ وآياتِه، وسورَه متعانقة متماسكة، آخذا بعضُها بأعناق بعض، فتراها سَلِسَةً رقيقَة عذبةً، أو فخمةً جزلةً، وعَلى الرغم من ذلك فهيمتناسبة متجانسة متآخية،جرساً وإيقاعاً ونغماً.

هذه المكوّنات مجتمعة، هي التي تُبْرِز دقّةَ اختيارِ المفردة، ووضعها في المكان الأخص بها في السياق القرآني، لتكتسب سمة التفرّد، والبلاغة والإعجاز. يقول الإمام الخطابي (338ه) ، في رسالته " إعجاز القرآن": إنّ مدار البلاغة في النص القرآني وإعجازه، هو وقوع اللفظ في مكانه، فإذا أبدل فسُد معناه، أو ضاع رونقُه الذي يكون معه سقوط البلاغة[4]؛ والبلاغة وثيقة الصلة بإعجاز الكتاب الكريم، بل أظْهرُ وُجوهِ إعجازِه، في نظمه وكلماته، التي اصطفاها الله تعالى، لتكونَ لغةَ كتابه العظيم؛فكانت لها فصاحتُها الخاصة، ومسحتها اللفظية الخلابة العجيبة، التي جعلتها غُرّةً في كل كلام، فكانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية. ولله درّ القائل:

تزينُ معانيه ألفاظَه ** وألفَاظُه زائناتُ المعانِي

فما المقصود باللفظ، وباللفظ القرآني تحديدا؟ وما الشواهد الدالة على دقة اختيار اللفظ، وبلاغة استخدامه في القرآن الكريم للدلالة على مقاصده ومراميه؟ وما مكمن المزية والعذوبة فيه؟وما هي الآليات المحدّدة لاستنباط جمالياته، ودلالاته في النظم الكريم ؟ وما السمات التي تنفرد بها ألفاظ القرآن عن غيرها؟

ولعل أول ما يستوقفنا قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، هو أن نلم بمفهوم كلمة اللفظ لغة واصطلاحا.

أولا : مفهوم اللفظ لغة واصطلاحا:

أ-لغة: تدلّ المعاجم العربية على أنّ مادة :(ل.ف.ظ) تعني: الرمي والطرح ، فكلُّ ما كان في الفم، ورُمي منه فهو لفْظٌ، كقولنا: أكلْتُ الثَّمرةَ، ولفظْتُ النّواةَ. جاء في لسان العرب أنّ اللفظ معناه: « أن ترمي بشيء كان في فيك، يُقَال: لَفَظْتُ الشيء من فمي ألفظه لفظا: رَمَيْتُه، وذلك الشَّيءُ لُفاظَةٌ»[5].

كما تقترن دلالة اللفظ بالكلام، لأنه يخرج من الفم، فيُقَال: « لفَظ بالشيء يلفِظُ لَفْظًا: تكلَّم، وفي التنزيل العزيز:﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق :18)، ولَفَظْتُ بالكلام، وتَلَفَّظْتُ به، أيْ: تكلمت به. واللَّفْظُ واحد الألفاظ »[6]. لذلك خُصّ اللفظ بما يُتَلَفَّظ به، من الفم من القول والكلام[7].

والمتتبّع لكلمة لفظ في اللغة العربية، يلاحظ أنها استعملت في الأصل للدلالة على معانٍ كثيرة[8]، ثم صارت تحمل المعنى المعروف اليوم الدال على الكلمة، أو اللفظة المفردة التي تُعدّ اللبنة الأساسية في بناء الجملة.

ويظهر لنا مما تقدّم من التعريفات في بيان اللفظ، أنها تتفق في مفهوم عام ثابت للفظ، وهو انحصاره في عرف اللغة، بإطلاقه في الغالب على الكلام، وذلك على اعتبار اللفظ الحامل المادي، والمقابل الحسي المنطوق للمعنى، الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وهذا ما أكد عليه أغلب النحاة في تعريفاتهم[9].

ب ـمفهوم اللفظ اصطلاحا:

اللفظ في الاصطلاح: هو الصَّوتُ المشتملُ على بعضِ الحروفِ الهجائيَّةِ، الَّتي أوَّلُهَا الألِفُ، وآخرُهَا الياءُ، ومثالُهُ: (زيد) و(يَكتُب) و(سعِيد)؛ فإنَّ كلَّ واحدةٍ مِن هذهِ الكلماتِ الثَّلاثِ عنْدَ النّطقِ بهَا، تكونُ صَوْتاً مشتمِلاً عَلَى أربعةِ أَحْرُفٍ هجائيِّةٍ. قال ابن هشام : « والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقا، أو تقديرا»[10]، وحدّده الجرجاني بقوله: « اللفظ ما يتلفّظ به الإنسان، أو من في حكمه مُهْمَلا كان أو مستعمَلا»[11]، وسُمِّيَذلك لفظا لأنه في دلالته الخاصة، مرتبط بعملية الكلام أو النطق أو التصويت، فكل لفظ غالبا هو صوتٌ صادر من فم الإنسان، يتكوّن من مجموعة من الحروف الهجائية[12]، التي تتكوّن بسبب لفظ الهواء من داخل الصدر إلى خارجه[13]. وهو ما يفسّر أنّ طبيعة اللفظ صوتية، لأنه مؤلّف من أصوات مرتبطة ببعضها على نحو معين لتشكل كلمة، تلفظ من الفم، وتنطق باللسان، وسائر الأعضاء المكوّنة للجهاز النطقي.

ولا يخفى ما للفظة من أهمية ضمن الكلام أو اللغة، فهي جزء من ذلك الكلام ، أو اللبنة الأساسية في بناء الجملة، وأصغر وحدة لغوية دالة في المنظومة اللغوية، وهي ما يُعرَف في اللسانيات الوظيفية (في بعض تحديداته) بالمورفيم Morphème، وهو ما يُقابل في اللغة العربية « الوحدة الدالة الصرفية»[14]، وعند ضم هذه الوحدات تتشكل مجموعة من الألفاظ، التي يترجم بها على المعاني وخلجات النفس والأفكار.

وعليه فإن دراسة أيّ نص دراسةً كاملة تتطلب الوقوف عند لبناته الأولى، التي هي المفردات، ووضعها في سياقها، وبيان مدى الإصابة في اختيارها، وقوّة ارتباطها بأخواتها وتناسقها، لإدراك دقة دلالتها، وسرّ جمالها وبلاغتها. ذلك أن الكلمة ـ كما يرى ميخائيل بختين ـ لا تستطيع « التفرّد والتشكّل أسلوبيا إلا في عملية التفاعل الحي، مع هذا الوسط الخاص، المتميّز»[15]. وعلى هذا« عنيت العرب بألفاظها، فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها»[16].

ثانيا ـ من مظاهر اهتمام العرب بألفاظهم ومعانيها:

احتلّت الألفاظ مقاما أثيرا من اهتمام العرب، وأخذت مكان الصدارة عندهم، فكان لِلْكلمةِ أثرها و«قدسيتها، وهي تفعل فعلها إلى أبعد مدى؛ فيحاربون ويصالحون، ويُضَحّون ويَكرّمون نتيجة سماع كلمات، وهم سيدركون القيمة الموسيقية في القرآن، بسبب معايشتهم لفن الشعر والخطابة، واهتمامهم البالغ بالكلمة»[17].

ولا أدل على ذلك من حديث ابن جني عن عناية العرب بألفاظها، حيث يقول: « فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنها لمّا كانت عنوانَ معانيها، وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها ورتّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكونَ ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد »[18].

ولمّا كانت الألفاظ على هذا القدر من الأهمية، فليس بعجيب أن يكون هذا الباب، كما يقول: « من أشرف فصول العربية وأكرمها، وأعلاها وأنزهها،... وذلك أنّ العرب كما تُعنى بألفاظها، فتصلحها وتهذّبها وتراعيها،... فإنّ المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها»[19].

وعلى هذا كان اهتمام العرب بألفاظها دليلا على اهتمامهم بمعانيها، «فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها، وحموا حواشيها وهذّبوها، وصقلوا غُرُوبَها وأرهفوها، فلا ترينَّ أنّ العناية إذ ذاك إنّما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها، وتشريف منها»[20].

وجمال الألفاظ عند العرب هو جمال للمعاني، ذلك أنَّ الحُسن في الكلام، يتقاسمه اللفظ والمعنى بنفس الدرجة، فكلّ « حسن يعود على اللفظ، هو ذاته عائد على معناه، وكل حسن يعود على المعنى، هو ذاته عائد على لفظه؛ إذ الحروف ومضمونها معا هما اللفظ»[21]. وكلّما تألّق اللفظُ وتميّز، تألّق

معه المعني، ومازج الروح ، وكان له الأثر الطيب في النفوس،يقول الجاحظ:« فإذا كان المعنى شريفا، واللّفظ بليغا، وكان صحيحَ الطبع، بعيدا من الاستكراه، ومنزّها عن الاختلال، مَصُونا عن التكلّف، صنعَ في القلوب صنيعَ الغيث في التربة الكريمة»[22].

و ما قضية "اللفظ والمعنى" بالخفية على المتخصّصين في اللغة والأدب، فقد دارت حولها نقاشات، وأُلّفت فيها كتب ومجلّدات ، وسال حولها حبرٌ كثير، وذكروا أنّ الفضيلة للفظ تثبت في ملاءمة معناه، لما يليه من الألفاظ، وما يسبقه، «وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها»[23].

تلك هي أهم ملامح جمالية الكلمة في المفهوم، وما تتصف به في حال الإفراد والتركيب، من جهة الفصاحة والبلاغة... وقد عُنِيَ القدماء بإظهار خصائصها الأسلوبية في ذلك كله؛ فكانوا رواداً عظماء في الحديث عن كثير ممّا تعرفه البلاغة الجديدة.

وهذه الأمور تأتي في القرآن مجتمعة، لكن على هيئة خاصة، وعلى نحو من المواءمة والمطابقة العجيبة التي لا يمكن أن تحدث في كلام البشر[24]، وما ذاك إلا لأن «الفضل يظهر في التخيّر، والانتقاء المبني على تفضيل لفظ على لفظ آخر»[25]. وهو ما يقودنا إلى بسط الحديث عن مكمن المزية في حسن اختيار ألفاظ القرآن الكريم ودقة دلالاتها.

ثالثا ـ حسن اختيار ألفاظ القرآن الكريم، ودقة دلالاتها :

إنّ المتدبّر لنظْم القرآن، الفقيه بأسراره ومغازيه، المستلهم روح الإعجاز فيه، المجتهد في استشفاف تفوّقه على كلام البشر، يلمس إعجازَه اللغوي، في مادة الكلمة القرآنية، وفي المسكوب الصوتي لصوامتها في الأذن، وفي هيئتها الاشتقاقية، ودلالاتها من خلال ظلالها وإشعاعاتها، ومواقع العناصر الأدائية المختلفة فيها، وفي تناغيها وتلاؤمها مع المفردات المجاورة لها، في سياق الرقعة السياقية، وغيرها من الأمور التي يتوجّب ارتفاقها فيضوء الرؤى التأملية للمفردة اللغوية. «وحسبك طريقة المفسرين الذين يقفون عند كل لفظة، وكل تركيب، يتأمّلون ويستخرجون، ويعتصرون الكلمات اعتصارا»[26]. لإبراز الدقة في اختيار ألفاظ القرآن الكريم، فالاختيار قد يكون مشروطا بموافقته لمعنًى يُفهم من السياق، أو لاعتماد الأسلوب القرآني الحسّية في الوصف، أو لإيحاء نابع لدلالة خاصة، أو تكثيف لمعنى وغيرها.

ومن الشواهد الدالة على ذلك نص تطبيقي يقف عليه الدارس عند السكاكي، وذكره قبله عبد القاهر الجرجاني، وهو قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود:44)، حيث يقف السكاكي مطولا أمام هذه الآية مبيّنا الغرض من استعمال بعض الألفاظ دون بعض، مثل: (ابْلَعِي) للماء الذي أُختير على لفظ (ابتلعي) لخاصية صوتية، تتمثل في الاختصار، وكذلك للمجانسة الصوتية بينه وبين (أَقْلِعِي)، والمتعارف أن يقال: اشربي، إلا أنّ الغرض من البيان، حتّم استعمال هذا اللفظ بدلا من الآخر، لِما فيه من قوةٍ وجمالٍ وتجانس، مع البنية الموسيقية للكلمات الأخرى في التركيب. ،« أما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية، فهي كما ترى نظمٌ للمعاني لطيف، وتأديةٌ لها مخلصة مبينة ... بل إذا جرّبت نفسَك عند استماعها، وجدت ألفاظَها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظةٍ في تركيب الآية ونظمها، تسبق إلى أذنك، إلا ومعناها أسبق إلى قلبك.

وأمّا النظر فيها من جهة الفصاحة اللفظية، فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة على العذبات، سلسة على الأسَلات، كلّ منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنّسيم في الرّقّة، ولله درّ شأن التنزيل، لا يتأمّل العالِمُ آيةً من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر » [27] .

فجمالية الكلمة وفصاحتها لا تكمن في ذاتها، ولا تستند إلى الذوق الرفيع، ولا دقة أدائها لدلالتها، في موقعها المناسب مع أخواتها،... وإنما يعود إلى ذلك كله، لتؤكد فصاحتها وجماليتها في سياقها الذي لا يكون غيره.

فكل لفظ في القرآن، له من الجمال و الدقّة، وقوة التأثير والتفرّد ما يدفعنا للتأمّل فيه، والتمتّع به من نواحٍ متعددة، أجراسًا وإيقاعاتٍ، ومعانيَ وإشعاعاتٍ، ولكل معنى ظلال وإيحاءات، ومقاصد وغايات، «وإذا تأملتَ القرآن ، وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه»[28]. « ولسنا نستطيع إحصاء تلك النواحي في جمال ألفاظ القرآن إحصاءً، ولكننا نضرب من الأمثال على مقدار طاقتنا، ومن غير أن نصل إلى أقصى الغاية، وإنما نسدّد ونقارب، بل المقارنة فوق طاقتنا، وقد سبقَنا إلى تلك المحاولة فحول البيان»[29].ومن هؤلاء نذكر ابن الأثير، الذي ذكر أن لاختيار الألفاظ المتناسبة في موسيقاها، ونغمتها ورنّتها وهيئتها،وسياقها دخل في دقة الاستخدام والدلالة، فما المراد بالاختيار؟

الاختيار: هو استخدام لفظٍ لدقّته في التعبير عن المعنى المراد، بدلا عن لفظ آخر يقتضيه السياق، ولعلّ العامل الأساس في اختيار هذا اللفظ دون غيره، هو ما تحققه اللفظة المختارة، وما تعطيه من معان ودلالات، قد تشترك فيها مع غيرها من المفردات، وبذلك تكون المفردة المختارة، قد أدّت المعنى الأساس في التعبير، فضلا عماّ أوحت به، ضمن الإطار السياقي نفسه، ومن هنا كانت استحالة تغييرها، أو استبدالها بغيرها،« بحيث لا يغني لفظٌ عن لفظٍ في موضعه، وبحيث لا يجور الجمال على الدقة، ولا الدقة على الجمال، ويبلغ من ذلك كلّه مستوًى لا يُدرك إعجازه أحد»[30].

أ ــ الدقة في الاختيار:

من مظاهر جماليات القرآن الكريم التي استولت تعلى قلوب العرب، واستحوذت على عقولهم، وفعلت فعل السحر في نفوسهم، تأنقه في اختيار اللفظ ومراعاة للفروق الدقيقة بين معاني الكلمات ، فيضع كل نوع منها موضعه الأخص ، الذي لو أبدل غيره لتبدل المعنى أو لذهب الرونق والإعجاز، فقد يشترك لفظان في معنى واحد ، لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة على المعنى، و أقدر على التعبير عنه من اللفظ لأن لكل لفظ منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضهما .

ذكر ابن الأثير أنّ اللفظ في النظم الكريم، يملك سمةَ جمالية فريدة، تدلّ على النمط الإعجازي فيه، وأنّ جماله الحقيقي يتجلّى في تناسقه مع جميع لبنات البناء، وفي تأليفه وتشاكله مع ما قبله، وما بعده، واستشهد على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم، منها قوله:« ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتيْن تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسَن في الاستعمال، وهما على وزن واحد، وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسُن استعمالُ هذه في كل موضع، تُستعمل فيه هذه، بل يُفرَّق بينهما في مواضع السبك، .... فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (الأحزاب:4)، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (آل عمران:35) . فاستعمل (الجوف) في الأولى، و(البطن) في الثانية، ولم يستعمل (الجوف) موضع (البطن)، ولا (البطن) موضع (الجوف)، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضا، فانظرْ إلى سبك الألفاظ كيف تفعل؟»[31]. وكيف يقتضي السياق العدول من لفظ إلى آخر، لمناسبته من الناحية الجمالية والدلالية، « فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه، وإن كان مشتملا على الفصيح والأفصح، والمليح والأملح، ولذلك أمثلة؛ منها قوله تعالى : ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ (البقرة:2) أحسن من (لاشك فيه)؛ لثقل الإدغام، ولهذا كثر ذكر الريب. وقوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:184) أخفّ من (أفضل لكم). وقوله تعالى: ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ ﴾ (البقرة:184) أحسن من (ضعُفَ)؛ لأنّ الفتحة أخفّ من الضمّة»[32].

وهذا دليل واضح على دقة القرآن في اختيار ألفاظه، لتتكامل الخصائص النوعية للألفاظ، مع المميزات العامة لبنية الكلام، وتلك سمة شملت أفراد كلمات المعجم، فلم تستثنِ حرفا عاملا، ولا اسما، ولا فعلا، إذ كلها ــ كما بيّن الخطّابي ــ في أعلى درجات الدّقّة والفصاحة من حيث تأدية المعنى المراد[33].

وهو ما يقتضي البحث في لفظ القرآن ودقائقه، على أساس التذوّق، وتنْبِيه الإحساس إلى أسرار الجمال في فن القول، كمسلك لإدراك سر الإبداع في الاستعمال القرآني للغة. ومن تجلّيات الدقة في روعة اختيار الكلمات أيضاالدقة في المعنى.

ب ـ الدقة في المعنى:

إنّ الناظر المتأمل في حديث القرآن عن (المطر، والغيث)، يجد تحديدا دقيقا لاستعمال الألفاظ، لا يوجد في غير القرآن، حيث فرّق النظم الكريم بين لفظ (الغيث)، الذي لا يُذكَر إلا في مواطن الرحمة والنعمة، ويأتي مقرونا بالنعمة والخير الوفير، من ذلك قوله تعالى: ﴿وهُوَ الذي يُنزّلُ الغيثَ مِنْ بعْدِ ما قنَطُوا وينشُرُ رحْمَتَهُ﴾(الشورى: 28)، وقوله أيضا: ﴿إنَّ اللهَ عندَهُ علْمُ السّاعةِ ويُنَزِّلُ الغيثَ﴾(لقمان: 34).

أمّا لفظ (المطر) ومشتقاته في القرآن الكريم ، فلا يُذكر إلا في مقام العذاب والعقاب، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾(الأعراف: 84)، وقوله أيضا: ﴿وَأَمْطَرْنا عليها حجارةً مِنْ سِجِّيلٍ منْضُودٍ ﴾(هود: 82)، أي: حجارة من طين متصلِّب متين، قد صُفَّ بعضها إلى بعض، مُتَتابعة في النزول بلا انقطاع ، مُعلَّمة عند الله بعلامة معروفة، لا تُشاكِل حجارة الأرض، وإنما أفرد إمطار الحجارة من بين أفراد العذاب الأليم بالذكر، مما يجتمع فيه عذاب الجسم، بما فيه من تألم البدن، وعذاب الروح بما فيه من الذلة و الإهانة.

ولنأخذ نموذجاً آخر يوضح الدلالة المعنوية القرآنية لاستخدام كلمتي «الرياح» و«الريح» حيث قد يتبادر إلى الذهن أنهما بمعنى واحد،وأن الترادف قائم مشترك بينهما،ولكن السياق القرآني استخدم كلاً منهما في مجال تعبيري خاصففرّق بينهما؛ (فالريح) قد تكون رحمة، وقد تكون عذابا، لكن في الغالب تأتي في مواطن العذاب، ذلك أنها تأتي من جهة واحدة، فتكون مدمّرة، بينما (الرياح) على العكس من ذلك ، فتأتي من جهات عدّة، ممّا يحدث التوازن والاستقرار،فتكون خيراً ورحمةً ونماء.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾(القمر:19)، ويقول: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾(الذاريات:41)،والمراد بالريح العقيم: الشديدة التي ليس فيها من الخير شيء،وإنما هي للإهلاك والعذاب، ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(الحاقة:6) أي:شديدة البرد والصّوت، تحرق لشدة بردها، فتجاوزت مقدارها المعروف، فعتت عليهم بلا رحمة، فكانت تنتزعهم من مكانهم وتهلكهم[34]. قال الزمخشري: «والصرصر شديدة الصوت، لها صرصرة، وقيل الباردة من الصرّ، كأنها التي تكرّر فيها البردُ وكَثُر، فهي تحْرِقُ لشدة بردها»[35]، ففي لفظة (صرصر) على وزن (فعْلَل)، تكرار لصوت الصاد والراء، وفي الصاد صفير، وفي الراء تكرار انفجاري، فعبّرت اللفظة بإيحاءات صوتها عن قوة الريح وضراوتها.

أمّا بشأن الرّياح ، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾(الأعراف:57)،وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(الروم :46). وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾(الفرقان :48).

وقوله تعالى أيضا:﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾(الحجر:22)،

ففي هذه الآيات توضيح لفعل الرياح، وأثره العميم على الناس. فالماء نعمة كبرى أنعم بها الله على مخلوقاته. ودور الرياح في إحداث هذه النعمة لا ينكر. والرياح تنطلق وفق نواميس كونية، حاملة الماء وفقًا لها أيضًا، ثم

يتساقط الماء؛ فيعم الخير. ويصير هذا الماء الساقط من السحاب الملقح، ماءً عذبًا زلالا صالحًا للشرب والسُّقيا. وقد ذكر" الرياح " بصيغة الجمع ؛ ليكون منها الإنتاج ، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها، ووصفها بالعقيم.

ج ـ الدقة في التناسق:

لقد بات من الثابت أنّ اللفظة القرآنية عالم متفرّد، في فصاحتها، ودقتها وتناسقها ومسحتها البلاغية العجيبة الخلابة، ـ لذلك يصفها الراغب الأصفهاني بأنها : « لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمِهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم»[36]. لذلك أولى النظم الكريم اللفظة عناية خاصة، فاختارها بدقة متناهية لتستقر في مكانها المناسب. يقول عبد القادر رزق الطويل:« إنّ للألفاظ جمالا، وإنها في النظم تكون لنغماتها، وألحانها إسهامات في جودة التعبير، لكنها لا تكون وحدها، وبفرادها سببا في الإعجاز، وإنما يكون الإعجاز في تناسقِ الكلمات، وما تُشِعُّه من معانٍ وأخيلةٍ بيانية، في وسطِ أسلوبٍ مكتملِ البناء، ويلتقي بنغمِه وفواصله، وصوره البيانية مع الألفاظ المحكمة، والمعاني السليمة التي لم يكن للناس عهدٌ بها من قبل[37].

فكان لهذه الخصائصِ المتفرّدة التي استأثرت بها اللفظةُ القرآنيةُ، ما يكشف بعضَ جمالية الخطابِ القرآنيِّ العظيمِ. ولكي يتبيّن لنا مدى دقة اختيار القرآن الكريم للألفاظ المعبرة عن المعاني الدقيقة، نورد بعض النماذج، لنقف من خلالها على روعة الاختيار، ودقة الدلالة ، وجمال التعبير، مع التناسق العجيب، بين المدلول والعبارة، والإيقاع والظلال والجو، ما يكسب الكلمة قيمة جمالية ودلالية في التعبير القرآني، من ذلك قوله تعالى: - حكاية عن إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾(يوسف: 17).فاستعمل الفعل (أكله) الشائع الاستعمال، دون (افترسه) الفصيح المختار، والذي هو مِن فعل السّباع خصوصا، وما ذلك إلا أنَّ الافتراس لا يؤدي تمام المعنى؛ لأنّ معناه القتل فحسب، وأصل الفَرْس دقّ العنق، والقوم إنما أرادوا، أنّ الذئبَ أتى على جميع أجزائه وأعضائه، ولم يترك منه شيئًا، لا لحمًا، ولا مفصلا، ولا عظمًا، ولو قالوا: (افترسه الذئب)، لطالبهم أبُوهم بأثرٍ باقٍ منه، يشهد بصحة دعواهم؛ ولهذا لم يصلح في هذا الموضع إلا أن يعبّروا عنه بلفظ (الأكل)، وهو شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع[38]. وهكذا ترى سبيل القرآن في كلّ لفظة من ألفاظه.

ومن الشواهد الدالة على ذلك أيضا قولهـ عزّ وجلّ ـ حكايةً عن إحدى المرأتين اللتين سقى لهما سيدُنا موسى ـ عليه السلام ــ :﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾(القصص: 25)، حيث استخدم القرآن لفظة (تَمْشِي) التي هي أفصح وأخص بهذا المقام دون (تسعى)، وذلك أنّ القرآن العظيم، إنّما أراد أن يبيّنَ ما ينبغي أن تكون عليه المرأة، من أدَب وسكينة ووقار في مشيتها، دون عجل أو تسرّع في حركات توقظ الفتن، فاختار القرآن لفظة (تمشي)، لتدل على معنى الاتّزان، ولِتُعبّر عن مشي الحرائر العفيفات، وأنّ مجيئَها كان على لزوم السجية المعهودة للمرأة من السكينة، وحسن الأدب، بخلاف (تسعى) التي تدل على السرعة والعجلة، وعلى هذا تقول : مشيت إلى فلان، إذا لم تكن في عجلة من أمرك، بخلاف سعيت إليه. وهذا المعنى لا يكتمل إلا بمعرفة فصاحة اللفظ في التأليف، والتأليف يؤدي إلى سياق، والسياق يوحي بأشياء كثيرة في فصاحة الكلمة وتأثيرها، وهذا ما يشكّل وعيا جماليا بالكلمة في نطقها، وفي استعمالها، وفي الانسجام والتلاحم الدقيق، بين المعنى والتركيب، والتناسب والانسجام والتناسق بين الحروف مخرجا، وصفة وحركة. «وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها»[39].

د ـ الدقة في الوضع واتساقها مع المعنى:

إن القارئ المتأمل في كتاب الله تعالى، يقف على خصائص وأسرار هامة - تفوق الحصر- تتمثل في دقة اختيار القرآن لألفاظه، ثم نظمها في نسق خاص، لتبلغ ذروةالاتّساق مع المعنى ، من ذلك مثلا قوله

تعالى- حكاية عن إخوة يوسف - عليه السلام . وقد رأو أباهم يعقوب، وهو يتحسّر على فراق يوسفله، يعاني الهم والحزن والحَرَض: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (يوسف: 85).حيث نلاحظ أن الله تعالى لما أتى بأغرب ألفاظ القسم، وهي (التاء)، أتى بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء، وتنصب الأخبار، وهي (تفتأ) بمعنى لا تزال، وبأغرب ألفاظ الهلاك، وهي (الحرَض).وأصل الحرض: الإشراف على الهلاك من شدة الحزن والحسرة والألم وغيرها. فاقتضى «حسن الوضع في النظم، أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها، توخيا لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادَل الألفاظُ في الوضع، وتتناسب في النظم»[40].ولما أراد غير ذلك قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾(النحل:38)فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها[41]. ذلك أنّ اللفظ في القرآن له تفرّده ودقته، من حيث المعنى والدلالة والسياق، ممّا لا ينبغي معه الترادف، وإن لاح الأمر من حيث الشكل، فالسياق يضفي على اللفظ مصاحبات دلالية وتصوّرية، تعطيه ملمح التفرّد والتميّز، ومن ثم تصبح الدقة الدلالية في اختيار اللفظ ملمحا أسلوبيا متفرّدا.

ومن أظهر الشواهد الدالة على ذلك، لفظة (الشيطان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (الصافات: 64- 65)، للدلالة على التناهي في الكراهية، وقبح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شرّ محض، لا يخلطه خير . وقريب من هذا المعنى ما تؤديه الخصائص الصوتية في تأطير وتعزيز القيم المعنوية والدلالية؛ وتصوير الغرض، ما ذكره أبو حيان الأندلسي في كلمة (أفٍ) مبيّنا دلالتها، وما توحي به من معنى، في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ (الإسراء:23). فقال:« أُفٍ: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجّر... والانتهار: إظهار الغضب في الصّوت واللفظ»[42]، فلفظ "أف" مطابقة في صورتها تماما لنطقها، أي أنّ الدال يوافق المدلول؛فجاء كل لفظ متناسبا مع مدلوله الصوتي من وجْهٍ، ومع صورته الذهنية من وجْهٍ آخر.كما أنّ (أفٍ) بتنوين الكسر أبلغ في التضجُّر؛ لأنّ المتضجِّر عبَّر عن نفسه بإضافة صوت النون لتطويل اللفظ، للتنويه على عمق المعنى والدلالة فيه[43].

ه ــ الدقة في الوصف :

من الأسرار الجمالية الرائعة في اختيار الكلمة القرآنية، ودقتها في الوصف، تحديد المعنى وتصويره،قوله تعالى:﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾(الشعراء:94)،أي: رُمِيَ بِبَعْضِهِم في الجحيم على بعض، وطُرِحَ بعضُهم على بعضٍ منكبِّينَ على وجوههم، وأصل (كُبْكِبُوا): كببوا، ولكن الكاف كرّرت هنا، فما السر في التعبير بهذه الصيغة (فَكُبْكِبُوا)؟

إنّ هذه الآية تصوّر وتصف حال الكافرين، وهم يُعذَّبون في النار، فاختار النظم الكريم التعبير بكلمة تصوّر هوْلِ المشهد، وشدة عذابه، فكانت كلمة (كُبْكِبُوا)، لتصوّر المشهد على دقّته،وتدلّ على مضاعفة العذاب واستمراريته، وعلى كثرتهم، وهذا دليل على بلاغة القرآن، وسحرِ بيانه،إذ كلمة واحدة من شأنها أن تصِفَ الحال وتبين الغرض.

وفي قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تتجلّى دقة اخيار النظم الكريم للألفاظ، وتناسقها وروعة ما توحي به من معانٍ، ودلالات خصبة متنوّعة، في تصوير حيٍّ بديعٍ للموقف بين يوسف وامرأة العزيز، حيث جاء تصميمها على تنفيذ طلبها،فأصبحت تتحيّن الفرصة بين الفينة والأخرى، لتمكّن نفسها من ذاته، فراحت تكرّر الطلب من يوسف، وتلحّ عليه في ذهابها وإيابها، وهو ما تدلّ عليه الكلمات: (رَاوَدَتْهُ)، و(وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ)، في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: 23)، فالفعل (راوَدَته) يعني:طالبتْه برفق ولين،بستْرِ ما تريده في أسلوب يخدعه، ليخرجه عما هو فيه إلى ما تطلبه؛ ولتحقيق ما تصبو إليه، كان الذّهاب والمجيء المتكرّر، والإلحاح على تحقيق الطلب، وهو ما يوحي به المد في (رَاوَدَتْهُ)، وضمير الهاء في آخره، دليلا على العاطفة المحمومة المتعِبة، التي فاقت قدرة الصبر والاحتمال، فراحت امرأة العزيز تطلب وتكرّر وتُلِحّ، وتصمّم على تنفيذ

طلبها، في موقف مضطرب، فيأتي الفعل (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ)، ليوحي بشدة إحكام إغلاق الأبواب ، وهو ما يوحي به إيقاع اللفظ الشديد (غَلَّقت)، وهذا المعنى لا يكون لو استُخدم الفعل(أَغْلَقت)، أو (غَلَقَت)، الذي يوحي بالهدوء والاستقرار. وبعد تهيئة المكان، في هذا الجوّ المشحون بالعاطفة المتأجّجة، في قلب المرأة المحمومة ، يأتي إيقاع (هَيْتَ لَكَ) الهادئ الناعم، بكل ما فيه من إيحاء ونعومة وإغراء، كنعومة هذا اللفظ (هَيْتَ لَكَ) ورقته ولطافته، ومعناه " هلُمّ إلي" إني "تهيأت لك".

الخلاصة والاستنتاج:

استنادا على كل ما تقدم نخلص إلى جملة من النتائج ، نوجزها فيما يأتي:

1 ـ إنّ ألفاظ القرآن الكريم تمتاز بالجزالة والقوة والملاءمة بين الشكل والمضمون، لها بلاغتهاالخاصة بأدائها وأصواتها، مما جعلها راقية في إيحاءاتها، متميزة في تراكيبها ودلالاتها، واستقرارها في موضعها، واتساقها الكامل مع المعنى،مما أكسبها خاصية أسلوبية بلغت الذروة في الفصاحة والبيان من مواضع الإعجاز والجمال في تركيب الجملة القرآنية.

2 ـ إنّ ألفاظ القرآن الكريم ليست ذات دلالة واحدة، لا تخرج عنها أينما وردت، بل إنا لعديد من تلك الألفاظ تحمل دلالات عدة ومختلفة، يحددها السياق القرآني الذي وردت فيه، ومن هنا تظهر أهمية فهم اللفظ القرآني الذي لا ينبغي أن يكون مقطوعا عن سياقه؛ ففي ذلك ما فيه من الإخلال في الفهم، والبعد عن القصد، والتجافي عن الصواب .

3 ـ إن دراسة الألفاظ في النسق القرآني لها أهمية خاصة، وأثر أساسي في سلّم التناسق الفني، الذي يتمز به النظم القرآني، الذي تتساوق فيه الأصوات، والحروف، والألفاظ، وتتآلف لأداء الأغراض المنوطة بها داخل التراكيب المختلفة، فهي مرتكزات مهمة في فهم الأنساق التعبيرية، وكشف خفاياها ومقاصدها، واستكناه أغوارها، فهي تضيء ما حولها لتظهر أبعاد النص ومراميه، أمام متأمّله واضحة مضيئة.

4 ـ لقد انفردت ألفاظ القرآن الكريم بفصاحتها الخاصة، وطريقتها البديعة في تأدية المعاني، فهي في سياقها المحدّد تؤدي غرضها أداء لا يمكن لأيّ كلمة أخرى أن تقوم به، من حيث مضمونها ومؤداها، وجمالها الشكلي، وتناسقها الصوتي، لتصل بقارئها أو سامعها إلى استيعاب دلالتها ومعناها. حيث يبلغ جمال النظم الصوتي الذروة، في رسم المعنى المراد بكل تفصيلاته، هيئةً، وصوتًا، وحركةً، وهذا مُنتهى التعبير الإيقاعي المعجز.

5 ـ إنّ اللفظ في النظم الكريم، يملك سمةَ جمالية فريدة، تدلّ على النمط الإعجازي فيه،وأنّ جمالَه وحلاوته نابعة من ألفاظه، من حيث هي أصوات، توحي وتعبّر عن المعنى بإيقاعها، وجرسها وإيماءاتها، لتضفي على الأسلوب قيمة دلالية وجمالية، يتحقّق بمقتضاها الإعجاز.

6 - إن الجمال الحقيقي للفظ في القرآن الكريم يتجلّى في تناسقه مع جميع لبنات البناء، وفي تأليفه وتشاكله مع ما قبله وما بعده، فجمالية الكلمة وفصاحتها لا تكمن في ذاتها، ولا تستند إلى الذوق الرفيع، ولا دقة أدائها لدلالتها، في موقعها المناسب مع أخواتها، وعدم تنافرها... وإنما يعود إلى ذلك كله، لتؤكد فصاحتها وجماليتها في سياقها الذي لا يكون غيره.

7 - لقد أولى النظم الكريم الكلمةَ القرآنية عناية خاصة، فاختارها بدقة،فكانت لكل حالة مُرادة ألفاظَها الخاصة، في قطعية الدلالة ، وتقرير الحقيقة المطلقة،كما كان للبعد الصوتي في السياق القرآني أثرٌ فعّال، في صياغة المعاني، بالاعتماد على اختيار الأصوات. حيث يبلغ جمال النظم الصوتي الذروة، في رسم المعنى المراد بكل تفصيلاته، هيئةً، وصوتًا، وحركةً، وهذا مُنتهى التعبير الإيقاعي المعجز.

8 ـ إنّ المفردة القرآنية ليست كلمة تقال وتكتب كأي كلمة بشرية، فقد أودعها الله تعالى قانونه الثابت الذي يجب أن تؤدي على أساسه الوظيفة التي وجدت من أجلها،فكانت لها دلالتها و فصاحتها ومذاقها و وقعها الخاص بها، بعيداً عن الأساليب الخيالية والإيحائية التي يستخدمها الإنسان، للتأثير في نفوس سامعيه، لأنها تسمو فوق الخيال والإيحاء البشري الذي يستخدمه للفنون الشعرية والأدبية، ويقيس

عليه معايير النقد الذاتية غير المعللة في كثير من الأحيان، لأن ألفاظ القرآن كمال بلا نقصلا نعلم حدَّها ولا مداها.. ، وألفاظ البشر نقص بلا كمال.

الهوامش والمراجع:

1 ـ مباحث في علوم القرآن، منّاع القطّان، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر،2000م،ص:259.

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط32، ج6، 1423 هـ ـ 2003م، ص: 3399.

3 ـ أسلوب المجاز في بلاغة الخطاب القرآني، حسين شريف العسكري، مقال منشور ، مجلة نصوص معاصرة، مجلة فصلية تعنى بالفكر الديني المعاصر، العددان: الخامس والسادس عشر، السنة الرابعة، صيف و خريف 2008 م، 1429هـ، ص: 226.

4ـ ينظر.الرماني والخطابي، والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، ص: 29.

5 ـلسان العرب لإ بن منظور، دار صادر ، بيروت طبعة 03 1414هـ، 46/7. باب (ظ)، فصل اللام و ينظر تهذيب اللغة للأ زهري ، تح، عبد العظيم محمود، الدار المصرية للتاليف و الترجمة، القاهرة/ 08197،198 ، مادة: اللفظ.

6ـ لسان العرب، لابن منظور،461/7. وينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، مادة: لفظ.

7ـ شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص: 2،3 .

8ـ ينظر لسان العرب، لابن منظور، 461/7. و مقاييس اللغة ، لابن فارس، مادة: لفظ.

9ـ ينظر : ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري، تحقيق رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف، المغرب، 1999، ج1، ص200.

10 ـ أوضح المسالك إلئ ألفية ابن مالك، لابن هشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة النصر القاهرة، ط 4 ، 1956، 11/1.

11ـ كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد الشريف مكتبة لبنان، بيروت1969:ص 202.

12 ـ ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل للألفية، الخضري 15/1،14.

13 ـ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة المصرية، القاهرة، 1933، 16/1.

14 ـ ينظر : مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط1999،2، ص:137، 140.

15 ـ االكلمة في الرواية، ميخائيل بختين، ترجمة : يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1988، ص:29 .

16 ـ الخصائص ، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1 /312.

17 ـ جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1419ه - 1999م، ص: 75.

18 ـ الخصائص ، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1 /215.

19 ـ الخصائص ، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1 /215.

20 ـ المرجع السابق، ج1 /217.

21 ـ التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط2، 1407ه - 1986م، ص: 85.

22ـ البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418ه ـ 1998م ، ج1 /87 .

23 ـ دلائلالإعجّاز فيعلم المعاني، عبدالقاهرالجرجاني ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422ه ـ 2002م، ص: 98.

24 ـ الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004م، ص:13

25 ـ البيان العربي ، د/ بدوي طبانة، ط4، ص: 227.
26ـ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1988، ص : 27.
27. مفتاح العلوم، السكاكي، القاهرة، ط1، 1317ه، ص: 221، 222، 224،223.
28ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح:محمدخلفاللهومحمدز غلول،دارالمعارف،ط4،ص: 27
29 ـ المعجزة الكبرى للقرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، ص: 79.
30ـــ الإعجاز البياني في القرآن الكريم، حكمت الحريري، جامعة إب، اليمن، دط، 1425ه، ص: 1.
31ـــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، دط، دت، ج1، ص: 164.
32ـ تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، محمد بن عمر بن سالم بازول، دار الهجرة ودار ابن عفان، السعودية ومصر، 1426 ه ـ 2005م، ص: 66.
33 ـ ينظر: بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، ص: 23.
34 ـ ينظر: تفيسر الكشاف ، للإمام الزمخشري، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، ج6، ص: 148. والموقع : -http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura69 aya6.html
35 ـ تفيسر الكشاف، للإمام الزمخشري، ج6، ص: 148.
36 ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1430،4 ـ2009، ص : 55.
37 ــ دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية،د/ عبد القادر رزق الطويل، دار لبنان، 1993، ص: 31.
38 ـ ينظر : بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، ص: 30، 33. و من أسرار الكلمات في القرآنالكريم، د/طارق سيد طبل ، مقال منشور عبر منتدى مجمع اللغة العربية علىالشبكة العالمية، يوم :13-08-2016 ، الساعة 10:05.
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?p=28705
39 ـ دلائلالإعجّاز فيعلم المعاني، عبدالقاهرالجرجاني ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422ه ـ 2002م، ص: 98.
40 ــالأسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، محمد كريم الكواز ،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية بنغازي، الطبعة الأولى، ص: 293.
41 ـ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ،262/3-263.
42 ـ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، حققه عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ج21/6. وينظر : تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج70/15 .
43 ـينظر:اسم الفعل، دراسة وطريقة تيسير ،د. سليم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 16، ص: 68.